

حذرنا الشرع المطهر من الفتنة التي تقع آخر الزمان، كما في قوله ﷺ «يتقارب الزمان، ويقبض العلم، وتظهر الفتنة، ويلقى الشخ، ويكثر الهرج، قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل» متفق عليه، ونظرا لكثرة الفتنة وشدة خطرها على العبد وردت نصوص عديدة تحذر من الوقوع فيها، وأفرد لها العلماء فصولا وأبوابا في كتبهم ومصنفاتهم للحديث عنها، وعرض سبل النجاة منها.

وقال النبي ﷺ «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط»، «الأنبياء» التقت الإمام والخطيب في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية د. محمد الحمود النجدي للحديث عن أوصاف وأحوال فتنة آخر الزمان، وعن الموقف الأمثل للمسلم لاقتائها والسلامة منها، وفيما يلي تفاصيل اللقاء:

إعداد: ضاري المطيري

## أكد لـ «الأنبياء» أن الابتلاء من سنن الله في خلقه ليميز الصادق من الكاذب وأنها تكثر في آخر الزمان

# النجدي: تقوى الله تمنح المسلم بصيرة وقدرة على التفريق بين الحق والباطل عند وقوع الفتنة

إذ ليس له إمام حق يتبع، بل يتبع ما تهواه نفسه بدون ضابط، والنفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، قال تعالى (أفأريت من اتخذ الله هواد وأضله الله على علم)، وقال سبحانه: (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) النجم. فالؤمن متبع هدى، لا متبع هوى، وقال تعالى: (ومالهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني عن الحق شيئا).

التشدد والتنطع في الدين: وذلك من أعظم أسباب الوقوع في البدع، والفتنة، فالتشدد وتضييق الشريعة الواسعة، يوقع صاحبه في الحرج والعسر، وهو مضادة للشريعة، ومخالفة لها، فقد قال الله تعالى (وما جعل عليكم في الدين من حرج)، وقال (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)، وقال (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)، وقال (لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاه)، وقال النبي ﷺ «إن الدين يسر، ولن يشاء الدين أحد إلا غلبه»، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة»، رواه البخاري، وقال ﷺ «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»، متفق وقال «أرسلت بالحنيفية السمحة»، رواه الإمام أحمد، والتنطع في الدين سبب للهلاك كما قال ﷺ: «هلك المتعنتون» قالها ثلاثا. رواه مسلم، فمن التشدد التسرع في التفسير والتفسيق والتبديع للمخالف رده إلى الرسل وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)، وقوله ﷺ «ليس منا منكسر ولا يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا، ويعرف لعالمنا حقه»، رواه أحمد، فالواجب الأخذ من العلماء الراشدين في العلم، الذين يعظمون السنة ويظهرونها، ويدعون إليها، ويحرضون على جمع الكلمة ولم الشمل، فطاعتهم جمع الكلمة والأخذ عنهم هدى، كما أمر الله تعالى بذلك فقال: (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)، وأولوا الأمر على التحقيق هم العلماء والأمراء، كما نص على هذا غير واحد من الصحابة وغيرهم، فالعلماء يولون أمر الدين، والأمراء يولون أمر الدنيا، وهذا يستقيم الأمور، وقد تقدم الحديث: «إن الله لا يقبض هذا العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الناس، ولكنه يقبضه قبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما، اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا».

● لزوم الجماعة، وطاعة أولى الأمر: فإن الجماعة رحمة، والفرقة عذاب، وبد الله على الجماعة، ومن شد شد في النار وإنما ياكل الذئب من الغنم القاصية، ومن خرج على الطاعة وفارق الجماعة فمات ميتة الكفيرة جدا.

حتى أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يقول: «إن النبي ﷺ غلظ في هذه المسألة وأبدي وأعاد، وما ذاك إلا لأهمية هذا الأصل العظيم وعظيم منزلته من دين الإسلام».

ولهذا فحنن بحاجة إلى تأصيل هذا الأصل العظيم في نفوس المسلمين، وبخاصة في نفوس الشباب، وهناك نموذج مصغر يمثل هذا الأصل يشهده المسلم في اليوم والليلة خمس مرات، وهو الاجتماع لصلاة الجماعة، فيجتمع جماعة من المسلمين، ويرصون الصفوف، ويتقدمهم إمام واحد، ويتابعونه في جميع أفعال الصلاة، ولا يخالفونه، وهذا الاجتماع من الجماعة على الإمام في الصلاة ويوحى بأهمية اجتماع الأمة على إمام واحد، وعلى متابعتها وطاعته وعدم مخالفتها.

ومن هذه الأصول: أنه عند حصول الأزمات والفتنة فينبغي أن ترد الأمور إلى أهلها من العلماء وأهل الحل والعقد، ولا يخوض فيها كل أحد حتى لا تعم الفوضى والاضطراب، كما قال الله تعالى: (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول منهم) (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) وقال: (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا)، وقال: (يا أيها الذين آمنوا إن تنقوا الله يجعل لكم فرقانا) أي بصيرة وقدرة على التفريق والتمييز بين الحق والباطل، وفي حديث العرياض بن سارية في وصية رسول الله ﷺ للصحابة كان أول ما أوصاهم به التقوى، فقال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة»، والتقوى أن يجعل العبد بينه وبين عذاب الله وقاية، باتباع أوامره، واجتناب نواهيه.



د. محمد الحمود النجدي

الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه، أي: هذه التي استهكتني.

4 أنها تموج كموج البحر: كما ثبت: أن عمر رضي الله عنه قال: إنكم يحفظون قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟ فقال حذيفة: أنا أحفظ كما قال: قال: هات، إنك لجرى قال: قال رسول الله ﷺ: «فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة، والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال: ليست هذه، ولكن التي تموج كموج البحر... متفق عليه، وقد شبهت بذلك لشدة اضطرابها، واضطراب الناس، واختلال أحوالهم معها.

5 أنها تعرض على قلوب العباد فتنة فتنة: وتختلف فيها أحوال العباد تجاهها، فمن تقبلها ضل وهلك، ومن ردها ونفاها اهتدى ونجا، كما في قوله ﷺ: «تعرض الفتنة على القلوب كالحصير عودا، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره



د. النجدي في حوار مع الزميل ضاري المطيري

ما الحكمة من الفتنة والبلايا، خاصة فتنة الدين؟

● لقد خلق الله الخلق لحكم بالغة وغايات سامية، كما قال سبحانه (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)، فخلق الغفلين الجن والإنس لعبادته وحده لا شريك له، والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فيجب تعلمها وأداؤها على وجهها والإخلاص فيها لله تعالى. ومن سن الله تعالى في خلقه ابتلائهم وامتحانهم حتى يتبين الصادق في إيمانه، الصابر على بلائه، من ضده وهو الكاذب أو الضعيف في إيمانه، ومن يجزع عند بلائه، قال تعالى (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون)، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) أي فليعلمن الله ذلك ظاهرا يظهر للوجود، ليرتب عليه الجزاء، ويظهر عليهم ما علمه الله فيهم، إن الله لا يرحمنا لا يعاقب عباده على ما علم أنه سيكون منهم قبل أن يعملوه، وقال سبحانه (ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون)، وقال نبيه ﷺ «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط»، أخرجه الترمذي وابن ماجه.

ومعنى الفتنة في اللغة الابتلاء والاختبار والامتحان، وأما في الاصطلاح «فالفتنة ما يعرض للعباد من بلايا ومحن، في أمور دينهم أو دنياهم فتظهر سرائرهم، وتكشف حقائقهم»، وقد وردت الإخبار عن وقوع الفتنة وكثرتها وشدها، إن من رحمة الله بنا أن أرسل إلينا نبيا كريما حذرنا من كفة الفتنة كما في قوله ﷺ «يتقارب الزمان، ويقبض العلم، وتظهر الفتنة، ويلقى الشخ، ويكثر الهرج، قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل» متفق عليه.

وقوله «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليلا، رواه مسلم، ونظرا لكثرة الفتنة وشدة خطرها على العبد، وما ورد من النصوص الجبينة لها المحزنة من الوقوع فيها، فقد أفردها العلماء بفضول وأبواب في كتبهم كأصحاب الصحيح والسنة.

ما أحوال فتنة آخر الزمان وأوصافها والتي حذر منها النبي ﷺ؟

● لقد جاء في الأحاديث المتنوعة وصف الفتنة بصفات كثيرة، نظرا لتنوعها واختلافها وأحوالها فمما وصفت به الفتنة ما يلي:

1 وقوع الفتنة كقطع الليل المظلم، كما في قوله ﷺ: «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم»، رواه مسلم، شبهت الفتنة في ظلمتها وليسها على العباد وقوع الليل المظلم.

2 وقوع الفتنة كريح الصيف في تتابعها، وسرعة مجيئها، وتنوعها كما في حديث حذيفة رضي الله عنه أنه قال وهو بعد الفتنة «منهن ثلاث لا يكدر بذن شيئا، ومنهن فتنة كريح الصيف، منها صفار ومنها كبار»، رواه مسلم.

3 أنها يرقق بعضها بعضا أي: تتعاضد الفتنة مع مرور الزمن، حتى تكون الفتنة السابقة كأنها رقيقة، أي: هينة قليلة، لشدة ما بعدها، وهكذا الأمر بازدياد، كما في قوله ﷺ: «إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم... الحديث رواه مسلم، وفيه «وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعض، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تتكشف وتجيء

## فقه الأزمات والفتن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين وبعد: فإن مما نراه واقعا في زماننا هذا كثرة الفتنة، وقد أخبر النبي ﷺ بأن كثرة الفتنة من اشراط الساعة، ولذا فحنن بحاجة إلى تأصيل فقه الأزمات والفتن على ضوء النصوص الواردة في الكتاب والسنة حتى يكون عند المسلم أصول يرجع إليها ويبني عليها نظراته وتقويمه لما يقع من أحداث، وهذا أمر في غاية الأهمية.

ولذا ينبغي أن يعني به العلماء والمربون، خاصة مع هذه الثورة التي نراها في عالم الاتصالات ووسائل الإعلام، ولعل أحداث التكفير والتفجير التي تعيشها الأمة الآن خير شاهد على هذا.

فإن هؤلاء الشباب الذين قاموا بهذه الأعمال المنكرة، لو كان عندهم فقه مؤصل في هذا الباب لما حصل ما حصل، ولذا تلقتهم من تلقفهم من أهل البدع والأهواء، وألقوا عليهم شيئا ولبسوا الباطل بشيء من الحق، فأضروا بمجتمعهم وأمتهم وبأنفسهم قبل ذلك.

وأنكر باختصار بعض الأصول العظيمة في هذا الفقه:

فمنها: أهمية اجتماع الكلمة في الأمة ووحدها وعدم تفرقتها، كما قال الله تعالى: (واعصوا ما يأمر الله جميعا ولا تفرقوا...)، وقوله: (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء...)،

ويقول النبي ﷺ «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه» متفق عليه، وفي رواية لمسلم: «من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان»، وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ليس أحد من الناس يخرج من السلطان شيئا فمات إلا مات ميتة جاهلية».

وفي حديث آخر يقول ﷺ: «من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له»، رواه مسلم. وفي حديث أبي هريرة يقول ﷺ: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات، مات ميتة جاهلية»، إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة جدا.

حتى أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يقول: «إن النبي ﷺ غلظ في هذه المسألة وأبدي وأعاد، وما ذاك إلا لأهمية هذا الأصل العظيم وعظيم منزلته من دين الإسلام».

ولهذا فحنن بحاجة إلى تأصيل هذا الأصل العظيم في نفوس المسلمين، وبخاصة في نفوس الشباب، وهناك نموذج مصغر يمثل هذا الأصل يشهده المسلم في اليوم والليلة خمس مرات، وهو الاجتماع لصلاة الجماعة، فيجتمع جماعة من المسلمين، ويرصون الصفوف، ويتقدمهم إمام واحد، ويتابعونه في جميع أفعال الصلاة، ولا يخالفونه، وهذا الاجتماع من الجماعة على الإمام في الصلاة ويوحى بأهمية اجتماع الأمة على إمام واحد، وعلى متابعتها وطاعته وعدم مخالفتها.

ومن هذه الأصول: أنه عند حصول الأزمات والفتنة فينبغي أن ترد الأمور إلى أهلها من العلماء وأهل الحل والعقد، ولا يخوض فيها كل أحد حتى لا تعم الفوضى والاضطراب، كما قال الله تعالى: (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول منهم) (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) وقال: (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا)، وقال: (يا أيها الذين آمنوا إن تنقوا الله يجعل لكم فرقانا) أي بصيرة وقدرة على التفريق والتمييز بين الحق والباطل، وفي حديث العرياض بن سارية في وصية رسول الله ﷺ للصحابة كان أول ما أوصاهم به التقوى، فقال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة»، والتقوى أن يجعل العبد بينه وبين عذاب الله وقاية، باتباع أوامره، واجتناب نواهيه.